

مطلوب منسق لخلاص العراق

شبلبي ملاط *

■ يذكرنا رحيل المفكر العراقي الكبير علي الوردي بالعدّ البالغة التي تختص بها طبيعة المجتمع العراقي. وقد جاءت موسوعته عن تاريخ العراق المعاصر وكتاباته عن التركيبة الاجتماعية في عراق القرن العشرين مصحوبة بتنبية فريد في تواضعه لدى كبار مثقفينا العرب، يشير فيه الى عدم قدرته على استيعاب الأوضاع الاجتماعية والتاريخية في الشمال التركماني والكردي لعدم امامه بلغاته واصوات رجالاته الاصلية.

واذا كان هذا التراضع من لدن اكبر علماء الاجتماع العراقيين ذكرونا باستحالة الشمولية العلمية في تناول قوام المجتمع في العراق، فما احرانا بان نذكر اليوم صعوبة التعاطي العقلاني في رسم سياسة فعالة تجاه العراق، ان من جانب اهل المعارضة، او من جانب اصحاب القرار في الدول المجاورة وفي الغرب. فلا عجل مديراً بصوي الغسيفساء العراقية بمفهوم شامل، ولا عقل منقداً يلجأ اليه لتقديم سبل الرجوع عن مشارف الهاوية الكبرى.

واذا كانت الشمولية في التحليل مستحيلة، تبقى معالجة الانزلاق الى الهاوية ضرورية بما يناسب الظروف المستجدة مع بداية الانهيار الذي يشكل بؤارته فرار اقرب المقرين الى الحاكم بامرته في بغداد. اما وقد كثرت في العقدين الماضيين الفقرات التي جاء فيها الحديث عن قرب زوال النظام، والنظام باق لا يتزحزح، فالحقيقة الموضوعية اليوم تشير الى ان التنازل والهراء بلغا عدى لا عودة منه، بما تم عنه هذه البوارد من انهيار الثقة في داخل العائلة، وابتعاد الحليف الأخير في المنطقة، وانسداد امكان رفع الحظر لما جات الأيام الماضية به من لطمة لديبلوماسية فرنسا وروسيا تجاه العقوبات.

فالانهيار يزداد الحاحاً، والعالم غير جاهز لاستيعابه. الا ان الهاوية لا تسمح بالترف التحليلي، ولا بسمع ضحايا التاريخ الاسود في العراق المعاصر انتظار اكمال الرؤية الاكاديمية للعمل على خلاص الشعب من معدنة قد تكون اعمق من محتته الحالية. ولا يبقى في مثل هذه الحال في استحالة الشمولية القطرية، الا اريد بشمولية سياسية تتخذ مبدأ ان التغيير في العراق يحتاج قبل كل شيء الى تضافر المؤهلات العراقية المعارضة مع تنسيق في المنطقة والغرب على طريق بديل للمؤسسات.

والكل يعلم مدى التناحرات الداخلية في الوسط الكردي وأوساط المعارضة ككل. وفي مثل هذه الحال، يصعب الركوز الى شمولية في المعارضة توفر بديلاً حضارياً غير دموي للوضع الحالي، من دون واعز فاعل، وحدها الولايات المتحدة قادرة على تقديمه للعراقيين.

وهنا باب القصيدة: ففي وضع الشفيع الموحى بانهبجار يظل على حرب اهلية، وفي غياب قدرة المعارضة على الاخذ بزمام الأمور بقواها المستقلة، يبقى الجواب الوحيد في تنسيق أميركي لختلف الجهود والهمم، ينبثق من شمولية سياسية ترسم ملامح تغيير حضاري للبلاد.

وبالفعل، التفتت الولايات المتحدة الى هذه الضرورة بدفعها الجدي في اجتماعات ايرلندا نحو توافق كردي تحت مظلة المؤتمر الوطني العراقي. الا ان هذا السياق، وان سار في الاتجاه الصحيح، فلا يزال متلعثماً وغير كاف لما طرأ من مستجدات نتجت عن فرار الاصحار. فالوضع القلق، وقرب الانهيار يحتاجان الى تكريس مباشر لجهود وزير الخارجية أو الرئيس الأميركي نفسه لتفترغ للعراق، وهذا ليس في الوارد.

يبقى الحل في تعيين شخصية أميركية مرموقة تتعاطى مباشرة مع جميع الأطراف المعنية لدفع البديل العراقي الى الشمولية الضرورية لتغيير سليم في بغداد. وبمثل هذا المنسق ضرورة تتمثل بصفتها احترام واسع له من لدن المعارضين العراقيين وزعماء الدول المجاورة على السواء، بما يسمح بتوسيع قاعدة القيادة العراقية البديلة الى تيارات ديموقراطية لا يجوبها المؤتمر الوطني العراقي بعد - ونخص بالذكر هنا الطرف العربي السنني المنحدر من فلسفة الرحم كامل الجادري - وبما يسمح أيضاً للفوضى العارمة في المنطقة والذبول الحالي حيال الاجراءات العملية بتدارك انفجار العراق على نسق افغانستان ويوغوسلافيا والصرمال.

هذه الشخصية التي تحظى باحترام المعارضين العراقيين وزعماء الدول العربية وتركيباً موجودة. يبقى للعراقيين والعرب اقناع واشنطن بضرورة تعيينها مبعوثاً خاصاً.

* مدير مركز الفقه الاسلامي وقوانين الشرق الأوسط سواس، جامعة لندن. منسق مع ادوارد مورترمر واحمد الجلبي لـ «اللجنة الدولية من اجل عراق حر».